مجلة الدراسات اللغوية والأدبية
SUST Journal of Linguistic and Literay Studies
Available at:
http://scientific-journal.sustech.edu/

توظيف اللون الاسود في بنية النص الشعري عند الشاعر محمد مفتاح الفيتوري

يوسف على الدويدة محمد *جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ـ كلية اللغات

المستخلص:

جاءت الورقة بعنوان توظيف اللون الأسود في بنية النص عند الشاعر محمد مفتاح الفيتوري. وهدفت الدراسة إلى التعرف على مدى نجاح الفيتوري في توظيف اللون الأسود في بنية نصه الشعري، وذلك لخدمة قضية الإنسان الإفريقي الأسود الذي رزح تحت نير الاستعمار الأوربي فاتخذ الفيتوري من اللون الأسود سلاحاً حرك به ثورة السود الضعفاء ضد المستعمر الأوربي. وتمثلت مشكلة الدراسة في السؤال الآتي: إلى أي مدي نجح الفيتوري في توظيف اللون الأسود، لإزكاء روح النضال ضد المستعمر الأبيض. وقد استخدمت في سبيل ذلك المنهج الوصفي التحليلي. وقد توصلت الدراسة إلى أهم النتائج هي: أن الفيتوري قد نجح في توظيف اللون الأسود فحرك به الثورة في نفوس الأفارقة.. وجاءت أهم توصية في الدراسة. وهي دراسة توظيف الفيتوري للتاريخ كعامل في الكفاح ضد المستعمر.

الكلمات المفتاحية: زنجي، الإنسان الإفريقي، الأبنوس. إفريقيا، الأسود.

Abstract

The title of this research paper is utilization of dark complexion in text structure by the poet Muhammed Miftah Al Feitury. It aims to identify to what extent Al Feitury utilized dark complexion in constructing his poetic texts to serve the issue of the black African man who suffered from European colonization in order to kindle the spirit of straggle against the white European colonizer. The analytic descriptive method is used to achieve the goal the study reached the following results: Al Feitury succeed in utilizing the black complexion and mobilized revolution in the Africans people. The study recommended strongly of Al Feitury, utilization of historical events for straggle against the colonizer.

المقدمة:

إن للون الأسود آثاراً عديدة في الحياة. فهو يؤثر في النفس البشرية وفي القدرة الإنتاجية والإبداعية، كما يؤثر على المزاج والصحة والنشاط، والشفاء، لذا جاءت الورقة بعنوان: توظيف اللون الاسود في بنية النص عند الشاعر محمد مفتاح الفيتوري. وتتألف الورقة من إطار منهجي يمثل أدبيات الدراسة، ومن ثلاثة محاور وخاتمة. تحدث المحور الأول عن تعريف اللون ومدلولاته وخواصه، أما المحور الثاني فعن اللون في الآداب الإنسانية والأديان، والمحور الثالث اختص بتوظيف الفيتوري للون الأسود في شعره.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال الآتي: إلى أي مدى نجح الفيتوري في توظيف اللون الأسود، لإذكاء روح النضال ضد المستعمر، وما رأي النقاد في استخدم الفيتوري للون الأسود كسلاح في قضية تحرير الإنسان الإفريقي؟

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة الي:

1- إيضاح أثر توظيف الفيتوري للون الأسود في تحرير الإنسان الأفريقي من الاستعمار.

2- الاستشهاد بنماذج من شعر الفيتوري، تؤيد فرضية أن الفيتوري قد وظف اللون الأسود، لبعث الثورة في نفوس الأفارقة.

3- توضيح رأي النقاد في استخدام الفيتوري للون الأسود.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة في أنها ستفيد دارسي الأدب العربي والنقاد والمهتمين باللغة العربية.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، القائم على الوصف والمقارنة، بجانب المنهج التحليلي القائم على تذوق النصوص وفهمها.

حدود الدراسة:

تتمثل حدود الدراسة الموضوعية في توظيف الفيتوري للون الأسود، أما الحدود الزمانية فتنحصر فيما كتب الفيتوري حتى 2020م، بينما تمثل الحدود المكانية في دواوين الفيتوري.

المحور الأول: تعريف اللون ومدلولاته وخواصه:

أ- تعريف اللون لغة:

مادة لون: اللو ن هيئة كالسواد والحمرة، ولّونه فتلّون. ولون كل شيء: ما فصل بينه وبين غيره، والجمع ألوان (ابن منظور، 1414هـ، ج12, 393).

ب- تعريف اللون اصطلاحاً:

لون: يطلقه الفنانون التشكيليون، والمشتغلون بالصباغة وعمال المطابع، ويقصدون به المواد الصباغية التي يستعملونها لإنتاج اللون. أما علماء الطبيعة فيقصدون بكلمة اللون تلك الأشعة الملونة الناتجة عن تحليل الضوء (الصقر، **2010**م،14).

وهناك استخدامات اصطلاحية للون نحو: فلان ضحكته صفراء، وفلان يتطاير الشرر الأحمر من عينيه، وحياة وردية (الصقر، **2010**م، 19).

1- مدلولات اللون:

للون مدلولات متعددة فاللون الأحمر يرتبط بالحريق واللهب والحرارة، أو الدماء والقتل؛ لذلك يثير الأعصاب، ولا يرتاح إليه كثيرون، والأخضر: يرتبط بالحقول والحدائق والأشجار الأصفر: يرتبط بالشمس والضوء أما الأزرق فيرتبط بالسماء والماء، وهو لون مناسب لهدوء وبرودة الليل. (الصقر، **2010**م،28).

2- خواص اللون أو صفاته:

أ- كُنه اللون:

عَرفه رمزي العربي بقوله:" هو التدريج في سلم الألوان من اللون الأحمر إلى اللون البنفسجي "(العربي، ت:بدون,28).

كما جاء تعريف آخر لكنه للون: هي تلك الصفة التي تمَيز وتُعرِف أي لون عن الآخر، والذي نسميه باسمها، وهو الفرق الصريح بين الألوان والصفات. (الصقر، **2010**م70).

ب- **القيمة:**

هي الضوء في اللون، أو درجة عتمة، أو استضاءة اللون. (الصقر، **2010**م،39).

ج- **الشدة:**

هي درجة نقاء اللون، ومقدار خلطه مع ألوان. (الصقر، **2010**م،49).

د- التشبع:

هي كمية تشبع بكثافة معينة، فمثلاً 100% من الأحمر، هو أحمر صافٍ مشع (المناصرة، ت:بدون,5).

3- سيكولوجية الألوان:

مثلما للأدب أثر على المتلقي، كذلك للون أثر عليه وعلى قدرته الإنتاجية والإبداعية، كما تؤثر على المزاج والصحة والنشاط والشفاء فالشيء الملون ليس مادياً محضاً، بل له أثر في النفس (العربي، ت:بدون، 74).

وأيد إياد محمد هذا الرأي وقال: "إن للألوان أثراً على النفس البشرية، فقد تبين أن للإنسان سبعة مراكز للطاقة الحيوية. وقد سُميتْ بشكرات الطاقة (عجلات الألوان.) وهذه اليشكرات تتوزع بشكل مستقيم من أسفل العامود الفقري إلى أعلى نقطة في الرأس" كما في الجدول أدناه:

جدول رقم 1

الرقم	اسم الشكرة	الموقع	اللون
1	الشكرة الجذرية	في أسفل العمود الفقري	الأحمر
2	الشكرة الوجدية	أسفل السرة بمقدار أربعة أصابع	برتقالي
3	الشكرة الذاتية	تحت الأضلاع تماماً	أصفر
4	الشكرة القلبية	في وسط الصدر	أخضر
5	الشكرة الحلقية	في منتصف الحنجرة	أزرق
6	الشكرة الجبينية	في الجبين أو الجبهة	أزرق غامق
7	الشكرة التاجية	في أعلى الرأس	البنفسجي

(الصقر، 2010م،23-24).

نرى في الجدول رقم 1 توزيع مراكز الطاقة الحيوية في الجسم من أسفل العمود الفقري إلى الرأس، ونجد أن كل مركز ارتبط بلون معين، وهذه الألوان لها أثر في الأعضاء.

والألوان لها رمزية وعلاقة بالإيحاء النفسي، فمثلاً:

1- **اللون الأبيض:** وهو انعكاس جميع الألوان، ويحقق التوازن. (الصقر، 2010م،31).

ولكن رمزي العربي يقول عنه: إنه رمز للطهارة والنور والفرح والسلام. وكلمة أبيض في اللغة اليونانية معناها: السرور والمرح لذا نرى كثيراً من رجال الدين والشيوخ والراهبات يرتدون الأردية البيضاء.

2- **اللون الأسود:** رمز للظلام والحزن والكآبة.

3- **اللون الأصفر:** يمثل الضوء وهو رمز الشمس والذهب.

4- **اللون الأحمر:** رمز للعواطف الثائرة والقوة والنشاط والثورة واستعماله للدلالة على الغضب والقوة والخطر.

5- **اللون الأزرق:** رمز الصداقة والحكمة والخلود.

6- **اللون البنفسجي:** يجمع بين الحب والحكمة. (العربي، ت:بدون، 74).

وهناك مجالات ترتبط فيها الألوان بالطاقة اللونية وهي:

1- اللون واللبس:

نجد كل إنسان يتأثر باللون الذي يرتديه، ويمكن معالجة بعض مشكلات الشخصية عن طريق الألوان، وذلك بمعرفة دور كل لون على طبيعة المشكلات ويكون الأثر كما يلي:

- **الأحمر والزهري:** يساعدان على اللباقة وحسن التعبير.
- **الأصفر:** يساعد على الإخلاص والصراحة، وحب الإنسان.
- **أما الرمادي والأبيض:** فيساعدان على الاستقامة والعدل.
- **الأسود:** يساعد على البصيرة وحسن العلاقة، وهو أيضاً حزين منعزل.
- **الأزرق والأخضر:** يساعدان على المثابرة وحب عمل الخير. (الصقر، 2010م،28).

2- الألوان والطعام:

اللون له أثر على أعضاء الجسم، فعند أكل طعام من لون معين فانه يقوي طاقة ذلك العضو، نحو ما هو موضح في الجدول أدناه:

جدول رقم 2

الرقم	اللون	مثال من الطعام	العضو المرتبط به	أثره في الطاقة
1	الأحمر	السمك الأحمر	القلب	يقوى من عمل القلب
2	البني والأصفر	البطاطا والليمون	الطحال والمعدة والبنكرياس	يعدل الطاقة
3	الأبيض	الثوم	الرئة والأمعاء والغليظة	يوازن الطاقة
4	الأسود	التمر	الكليتان	يزيد من الاتصال بالطاقة الموجودة
5	الأخضر	السبانخ	الكبد	يقوي الطاقة بشكل عام

(الصقر، 2010م،27).

تتضح من الجدول **2** أهمية اللون ومدى أثره على أعضاء الإنسان وصحته، وطاقته، وذلك لارتباط هذا اللون بالطعام الذي يتناوله الإنسان.

3- العلاج النفسي بالألوان:

يعتمد العلاج بالألوان على إمداد الجسم ومناطقه المختلفة ـ تحديداً المريضة ـ بالألوان المناسبة حتى يتحقق الشفاء. وإمداد الجسم بالطاقة الموجودة في الألوان يتم بعدة طرق، أبسطها: التعرض لأشعة اللون العلاجي نفسه أو تناول الأطعمة التي تتفق ألوانها وطاقتها مع لون وطاقة العضو المراد علاجه. قديماً قيل "أخبرني ماذا تأكل؛ أخبرك من أنت"، فكل لون يرتبط بعضو معين أو بشفائه إذا مرض، وذلك من خلال الخصائص ودرجة وقوة الطاقة التي يتمتع بها كل لون. فاللون الأصفر متوسط الطاقة والذبذبة، وطاقته إيجابية، فهو قادر على امتصاص كل الطاقات السلبية من كل الأجسام الحية وغير الحية التي تتعرض له. أما اللون الأحمر فهو لون الأرض، ويعبر عن الصلابة وقوة العقل، ويولد الطاقة في العضلات، ويحسن البشرة. وفي حالة نقصان أشعة هذا اللون في أي جزء؛ فإنه يؤدي إلى الشلل الجزئي أو الكلي. واللون الأحمر هو أعلى الألوان طاقة، ويرمز إلى الحيوية والقوة، وهو لا يستخدم في أماكن الراحة، لأنه يصدر ذبذبات عالية تؤدي إلى زيادة حركة ونشاط الخلايا، وتسارع دقات القلب. واللون الأحمر يناسب الأماكن التي تحتاج إلى النشاط والحيوية. أما اللون الأزرق، فهو يعبر عن نبل الأخلاق، ويشير للإخلاص والوفاء، وهو لون الصفاء والهدوء ويقلل الشعور بالغضب، ويساعد على سحب الطاقة السلبية واستبدالها بالإيجابية. واللون البنفسجي هو لون الهدوء، وكثرة التعرض له تزيد الشعور بالحزن وهو لون نرجسي. أما اللون البرتقالي فيرمز إلى الطاقة، والفاتح منه يدل على الصحة والحيوية، والداكن يدل على الغرور والتعالي وأشعته تستخدم في حالة الإرهاق والتعب. واللون الأبيض يحقق التوازن، والأسود كثرة التعرض له تزيد الشعور بالحزن، وتعمق الإحساس بالذات وتهيج الأحزان المكبوتة. (الصقر، 2010م،28 – 35).

المحور الثاني: اللون في الآداب الإنسانية والدين:

المبحث الأول: اللون في الآداب الإنسانية:

عرف الإنسان اللون منذ أن عرف نفسه: فاللون موجود في كل مكان يوجد فيه الإنسان وأول استعمال للإنسان للون كان مرحلة جمع الثمار فقد ميز بين الشكل البسيط من اللون البسيط، كالبرتقال، وأمكنته معرفة نضجها من معرفة لونها. وكان يستخدم اللون الأصفر والأحمر والبني المستخرج من التراب، أما الأحمر فيحصل عليه من حرق عظام الحيوانات والخشب، ثم تطحن وتمزج مع شحوم الحيوانات، كما عرف سكان وادي الرافدين الألوان واستخدموها في الملابس السومرية وزينوا جدران مدينة بابل ومعابدها باللوحات الجميلة.

أما الحضارة المصرية فكانت تستخلص الألوان من موادها الأولى من الطبيعة وتسحق وتمزج بالماء مع بعض الصمغ. أما الصينيون فقد استعملوا مواداً كثيفة، وكان اللون ناتجاً من حرق الكافور، والممزوج بمادة صمغية. (الصقر، 2010م،161 – 162).

استخدمت لشعوب الألوان كرموز لها عاطفياً لكيانها السياسي. كالأعلام تستعمل كرمز في الحروب ونظرت الديانات القديمة إلى اللون كمركز مقدس، فالمسيحية ركزت على أبعاد رموز الألوان، فازدانت الكاتدرائيات بالجداريات البراقة، ونحى الإسلام هذا المنحنى في لغة الألوان، فجاء في القرآن الكريم "وما ذرأكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون" **(سورة النحل الآية13)**.

المبحث الثاني: اللون في الدين والتراث:

1- الألوان في الإسلام:

للألوان دلالاتها في الديانات التوحيدية، فالمسيحية يلبس فيها القديس يوحنا ثوباً أخضرا، ويرتدي المسيح والعذراء ثياباً حمراء وزرقاء. وأما اللون في الإسلام فقد كان استعماله أساساً لوظيفة جمالية، وكانت له دلالات تعبيرية أو رمزية أو حسية فالإسلام رفع اللون لأسود رمزاً مقدساً على مختلف البيارق تيمناً في عمامة النبي صلى الله عليه وسلم. وارتبط بمصدرين جوهريين: وأولهما. النور القادم من السماء المقترن بالخالق الأعلى (نور الله سبحانه، أو نور القلوب) بما يعنيه الإيمان لدواخل النفس المظلمة. (الصقر، 2010م،164).

– **الألوان في القرءان الكريم:**

وردت الألوان في القرءان الكريم كثيراً بدلالات رمزية مختلفة ومتعددة منها: ربط بعض الممارسات الدينية بألوان خاصة. وهناك مواضع في القرآن الكريم وردت فيها الألوان: فورد اللون الأبيض في أحد عشر موقعاً في القرءان الكريم, وكانت دلالته تشير إلي الصفاء والنقاء والعمل الصالح في الدنيا والآخرة: قال تعالى: "وأَمَّا الَّذِينَ ابيضَتْ وُجُوهُهُمْ ففي رحمة الله" **(سورة الأعراف,الأية107)**, وقال تعالى: "ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين" **(سورة الأعراف,الأية108)**، وقال تعالى "وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر" **(سورة البقرة,الأية187**، وانظر السورة (طه/22,والشعراء/33, والنحل/15, والقصص/32,والصافات/46,ويوسف /84,وفاطر/ 27,وآل عمران 106).

وذكر السواد في القرءان الكريم سبع مرات،خمس منها بالوجه وما يتحول إليه من سواد في الدنيا والآخرة نتيجة سوء الأفعال قال تعالي:"وأما الذين اسودت وجههم أكفرتم بعد إيمانكم "(سورة آل عمران, الأية 106)، وقال تعالي:"ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة" (سورة الزمر , الآية 60) انظر سورة النحل /58,وآل عمران /106, وسورة الزخرف/16).

واللون الأحمر ذكر في القرءان مرة واحدة ودل فيه على مشهد حسن قال تعالى: " ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانه:(سورة فاطر , الآية 27)

وجاء اللون الأخضر ليشير إلي ملابس أهل الجنة وما ينتظر المسلمين، فورد تسع مرات في القرءان قال تعالى: " ويلبسون ثياب خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك " (سورة الكهف، الآية 31). انظر الرحمن / 76,والأنعام /99, ويس/10, ويوسف 43,46,والإنسان /21, والحج/63.

واللون الأصفر ورد خمس مرات في القرءان، ودل على بعض صفات الحيوان والنبات يجف ويصفر قال تعالى: "إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونه تسر الناظرين" (سورة البقرة، الآية 69).انظر السور: المرسلات/ 32 ـ 33, والروم/ 51 والزمر/21 والحديد 20.

وورد اللون الأزرق في القرآن الكريم مرة واحدة، بدلالة الشيء المكروه قال تعالى: "ونحشر المجرمين يومئذ زرقا" (سورة طه،الآية 102).

مما سبق نرى أن القرآن قد وظّف الألوان للدلالة على الحالة النفسية، وهذا ما نجده في الأدب أيضاً .

اللّون الأسود في الأدب السوداني العربي:

احتفى الأدب العربي باللون منذ قديم الزمان،وذكر العرب اللون الأسود في أشعارهم, قال صفي الدين الحلي وقد قابل بين اللون الأبيض والأسود:

بيضٌ صنائعُنا خُضرٌ مرابعُنا وعبدُ بني الحسحاسِ نِجِي القوافيا

رأتْ فتياً رَثّاً وسحقَ عباءة وأسودَ ممّا يملكُ النّاسُ عاريَا

(الميمني،1950م،5).

وفي موضع آخر نجد الشاعر سحيم يشير إلى السواد ولا يعيبه، وهو ماجد كريم بأخلاقه لا بلونه فيقول:

ليس يذري السوادُ يوماً بذي اللُّبِّ ولا بالفتى اللبيبِ الأديبِ

إن يكن للسوادِ فيَّ نصيبٌ فبياضُ الأخْلاقِ منهُ نصيبي

(الميمني،1950م،25 – 26).

أما الأدب العربي في السودان، فقد ورد فيه ذكر اللون الأسود في أشعار الشعراء السودانيين:

فيقول محمد محمد علي :

الليلُ شرَّده الصباحُ المشرقُ والقفرُ زيَّنه الخميلُ المورقُ

إفريقيا طوتِ الظلامَ وودعتْ حِقباً عِجافاً لا تعي لا تنطِقُ

(علي،1979م،87)

فالشاعر هنا لم يورد اللون الأسود صراحة.ولكنه استخدم لفظه الليل والظلام دلالة على اللون الأسود والذي يرمز للظلام والظلم.

أما الشاعر محيي الدين فارس فأورد اللون الأسود في أشعاره جعلاً منها سبباً في عذابات الإنسان وأحد أواصر القربى،فتعاطف مع الطالبة الزنجية لوسي التي حرمتها السلطات الأمريكية بولاية ألاباما من التعليم في جامعات البيض بسبب لونها فقال:

سمعتُ الروايةَ

سمعتُ تفاصيلَها للنهاية

وجئتُ حزيناً أرشُّ على كل دربٍ أسايا

لا لأنكِ مثلي سوداءَ مثلي

ولونكِ لوني

وجرحكِ جرحي
وحزنكِ حزني
وحزنكِ حزني تتمُّ عليه مقاطع ُ لحني
ولكنْ لأنكِ إنسانة
معذبةٌ في الدُّجى شاردة
(فارس،(بدون ت،22)

أمَّا صلاح أحمد إبراهيم وصف الإنسان الأبيض بالشرير في قوله:

الأبيضُ الشريرُ جاَءمن جديد يتبع ُ الرحلةَ الجاسوس قد
غيَّر من قميصه الثعبان
الأبيضُ الشريرُ جاَءمن جديد ملهم الجرائم الكبرى أتاك.
(إبراهيم،2013م،45)

إن اللون الأسود لم يسبب لصلاح أحمد إبراهيم آلاماً وتحولاً خطيراً في حياته النفسية والاجتماعية' لذلك لم يركز عليه مثل تركيزه على القضايا الأخرى المتصلة بإفريقيا. قال:

أمَام البابِ تهّيتُ فتذكرتُ الوجه َ الأسمر
الّرقةُ في الوجهِ الأسمر والبسمةُ في الوجهِ الأسمر.
(إبراهيم،2013م،55)

وصلاح لم يتعقد من لونه رغم كتابته لقصيدة (في الغربة) تلك القصيدة التي يصور فيها كيف يمكن أن يلاقي الإنسان الهوان بسبب اللون، وقد أهداها إلي عبد الله الصومالي وإخواته، فقال فيها:

هل يوماً ذقتَ هوانَ اللونِ
رأيتَ يشيرون إليكَ،ينادونَ
عبدٌ أسودْ
عبدٌ أسودْ
هل يوماً رحتَ تراقبُ لعبَ الصبيةِ في لهفةٍ وحنان
فإذا أوشكتَ تصحيحُ بقلبٍ ممتلئٍ رأفة
ما لُبعَ عفرتَةِ الصبيان
رأوك فهبوا خلفكَ بالزّفة
عبدٌ أسود.
(إبراهيم،2013م،49)

والنور عثمان أبكر جعل من الحب رمزاً للسلام وظل يعالج قضية اختلاف اللون بالحب.

لقد ضحك الشاعر بعد أن سمع من الفتاة الصغيرة تعبيرها:

ضحكتُ مثل يوسفَ العجوز خاطراً
يحيلني زجاجةً ونافذة
لطفلةٍ بلونِ القمحِ شعْرها
وزرقةٍ من ساحلِ العقيقِ في عيونِها

تحبو إلّي إصبعاً مُؤَدَّداً
أُمَّاه أُظْرِيه: أسودا
ضحكتُ وانحنيتُ
قبَّلْتُ زرقةَ العقيقِ في عيونها بكيتُ.
(أبكر،2002م، 50)

أما محمد عبد الحي فيصور إفريقيا في صورة الفأر الأسود الذي يفتش عن الجذور:

الفأرةُ السوداءُ تبني عُشَّها
ورفيقُها الفأرُ الحكيمُ
يُنَسِّ في ليل الدِّماء.
(عبد الحي،1999م،8)

المبحث الثالث: اللون وبنية النص السطحية:

يقصد بالبنية السطحية مجمل المظاهر الخارجية للنص الشعري. وللبنية السطحية مجالات منها: الزمان، والمكان، وبلاغة الغموض. وأظهر ما يستخدم اللون الأسود والأبيض في مجال المكان.
(بنيس،1985م، 39).

تنبه بعض النقاد العرب لأهمية المكان في تشكيل النص الشعري.المكان لابد من توفر قانونين،فيه هما:

أ- لعبة الأبيض والأسود.

ب- مستويات اللون داخل النص.

إن النصوص تعيش صراعاً بين الخط والفراغ،أي: أن الأسود هو صراع لم يجربه القدماء بنفس الحدة التي تعتري الشاعر المعاصر، وهو يكتب نصه الشعري، لأن القدماء كانوا يعرفون مسبقاً حدود المكان عند كتابة النص. قال امرؤ القيس:

قِفَا نبكِ من ذكرى حَبيبٍ ومنزلِ بسقطِ اللّوى بين الدخول فحوملِ
فتوضِحَ فالمقراةُ لم يعفُ رسمُها لّما نسجتها من جنوب وشـمألِ
تروعَ الأرآمِ في عرصـاتِها وقيـعانِها وكـأنه حـبُّ فُـلـفُلِ
كأنّي غـداةَ البـينِ يوم تحـمّلوا لدى سمراتِ الحّي ناقـفُ حنـظلِ
(أمرؤ القيس،1984م، 8)

الشاعر هنا يعيش صراعاً بين الخط والفراغ حيث جاءت أبيات القصيدة متساوية ولها حدود مكانية لا تتجاوزها، فتساوت مساحات الخط وتساوت مساحات الفراغ، أي: الأسود والأبيض. فمارس الشاعر لعبة الكتابة داخل إطار مقفل.

أما الشاعر المعاصر فإنه يواجه الخطوط (اللون الأسود) بنفس القلق الذي يواجه به الفراغ (اللون الأبيض). وهذا هو الصراع الخارجي والصراع الداخلي الذي يعانيه الشاعر المعاصر. وهناك تداخل بين الخط والفراغ أي: بين الأبيض والأسود، فعندما ينتهي بياض فقد ينتهي بوقفة عروضية وقد لا ينتهي. وينتهي بالبيت عندما يلامسه البياض. أو عندما يوقفه البياض،فيحد من حريته في التدفق.(بنيس،1985م، 104).

قال البياتي في قصيدة المحروقة:

وصَنعتُ مِحْرقتِي
وكان لظى
نِيرانها رئتِي وأعصابي

وربيعي المُتَوهِّج الخَابي
ودفنتُ في أعماقِ ذاكرتي
فأسِي وزوبعتي وأحْطابي
وقبورِ أحبابي
(البياتي،2001م،90)

يتجلى الصراع بين الأسود والأبيض،فيزحف الأسود في بعض النصوص على الفراغ، ويمسح الأبيض من الصفحة التي يكتب فيها. فالبيت يرفض الرضوخ لبياض معين، فيهم القارئ بالخروج إلي النثر، فيهجم الشعر على النثر؛ والأسود يحد من مجال الأبيض. قال سميح القاسم في قصيدة:

كم جندياً يقفون على رأسِ الإبرة؟
من ساعاتٍ، أيامٍ، أشْهُرٍ
سنواتٍ، أعْصُرٍ
لا أنسى بالضبط ولا أنْكُر
لكنّي كنتُ الشّاهدَ وحدي
أبصرتُ الغادرَ أطلس المغدور صلاح الدين
جلجل صوتي(لم يسمعني غيري):أطلَسُ بَقْرُ
يا عالَمُ! يا هو! أطلسُ الغدرِ..(لم يسمعني غيري)
ولماذا (سألتْني بنتُ الجيرانِ)
وأنا أرسمها عاريةً، أُبصِرُ كلَّ جبالِ الوطنِ القاتمِ كالدُّميةِ، أُبصِرُ كلَّ الوِدْيانِ.
(القاسم،مج 2، 202)

فهنا نلاحظ في البيت الثالث و البيت الأخير أن الأسود زحف على الفراغ، ومسح الأبيض من الصفحة، فكان البيت يرفض الرضوخ للبياض، حتى توهم القارئ أنه يقرأ نثراً لا شعراً.

المحور الثالث: توظيف الفيتوري للّون الأسود:

مقدمة:

ولد محمد مفتاح رجب الفيتوري عام 1930م بمدينة الجنينة بغرب السودان، وكانت لأسرته علاقة مع إحدى الأسر الليبية. صحب والدهفي هجرته إلي الإسكندرية، حيث أدخل كُتّاب الشيخ عبدالخالق بالإسكندرية، ثم أدخل معهد الإسكندرية الديني، حيث حفظ القرآن الكريم، ثم انتقل لفرع المعهد في الأزهر في القاهرة قبل أن يدخل كلية دار العلوم التي غادرها قب أن يكملها. كبر الشاعر علي فلكة الشيخ وضربه إياه لحفظ القرآن، وإيقاعات الطبول والدفوف في الليالي الدينية التي يقيمها والده.(التوم، 2002م،241)

أحب الفيتوري عنترة من خلال قراءة سيرته، ولأنه عربي أسود البشرة، مثله. (الفيتوري،دت، 8).

وكبر الفيتوي ومعه إحساسه بالغربة والحزن،وكان يزداد انطواء على نفسه. انظر إليه يقول: "... دائماً تحاصرني عيونهم... تتابعني حيثما أسير... إنهم يسخرون منى. منظري يثير فيهم روح السخرية والاستهزاء. لقد فضضت سر اللغز... سر المأساة التي وُلدتْ معي.. إنني قصير وأسود ودميم "(المصدر نفسه،12-13).

ثم ينفجر هذا الإحساس شعراً فيقول:

فقيرٌ أَجَلْ... ودميمٌ دميم

بلونِ الشتاءِ وبلونِ الغيومُ
يسيرُ فتسخرُ منه الوُجوه
وتَسخرُ حتَّى وُجُوهِ الهموم
(المصدر نفسه، 13)

وشاركه الألم ذاته وقتامة الواقع أبو القاسم الشابي الذي أعطى نموذجاً لمقدرة الشاعر في التعبير من الألم،قال:

وإذا ما استخفَّى عبثُ النَّاس
تبسمتُ في أَسًى وجُمود
بسمةً مرَّةً كأَنِّي أستلُ
من الشكوكِ ذَابلاتِ الوُرُود
(الشابي،1970م، 186)

كما أحب الفيتوري جبران خليل جبران؛ لأنه غريب وحزين ومنكسر القلب مثله؛ ولأنه مسيحياً كان يتعاطف مع المساكين والعبيد والفقراء، وهو يحس أنه مجرد واحد من هؤلاء(مقدمة ديوان الفيتوري، 17)

كما أحب الفيتوري وغرق في عالم الشاعر الفرنسي شارل بودلير ذلك المعذب. أحبه لأنه أحب جارية سوداء اسمها جان ديفال وهو الأرستقراطي الأبيض محطماً بذلك الفوارق الطبقية واللونية.(المصدر والصفحة نفسها).

انصهرت ذات الفيتوري الإنسانية فكتب أولى قصائده عام 1947م قصيدة: (إلى الوجه الأبيض)،فقال فيها:

أَلَئِنَّ وجْهِيَّ أسودَ..
ولئن وجهَكَ أبيضَ.. سمَّيتَني عبداً
ووطِئْتَ إنسانيتي.. وحدقرتَ روحَانِيَتِي
فصنعتَ لي قيدا (المصدر السابق، ص 18).

هذا هو الخط الذي ترسمه الشاعر وأراد به أن يفضح به الواقع اللا إنساني الأسود، وأراد أن يقول إنه لن يسمح لنفسه بالمساهمة في تزييف هذا الواقع القبيح،راجع المصدر السابق، 19)

ولكن الناقد محمود أمين العالم يقول عن الفيتوري:"إنها مأساتك الخاصة تسقطها على قارة بأكملها، على إفريقيا.. إنك شاعر مريض ".(مقدمة ديوان الفيتوري، 17)

فرد عليه الفيتوري قائلاً:" إنه يريد في هذه المرحلة من شعره التطهير من مرضه بأن يبوح به، ويتغّنى مبتهجا بحزنه ". (مقدمة ديوان الفيتوري،20). فقال:

قُلهَا لا تَجْبُنْ.. لا تَجْبُنْ
قُلهَا في وجهِ البشرية
أنا زُنجِي.. وأبِي زُنجِي الجَدِّ
وأُمِّي زُنْجية..
أنا أسودُ.. أسودُ لكنِّي حُرٌّ
أمتلكُ الحُرِّية
أرضي إفريقية، عاشتْ إفريقية
عاشتْ إفريقية (المصدر نفسه، 21)

واستمر الناقد محمود أمين العالم في نقده له، فاتهمه بتمزيق القضية والكتلة الجماهيرية الواحدة بدعواه أن هناك قضية منفصلة للسود، بينما يرى محمود أن العامل الأسود والأبيض يرزحان تحت نير تاريخي واجتماعي واحد، هو نير الرأسمالي الأبيض، والرأسمالي الأسود، ويرى أنها قضية الكادحين وأصحاب رؤوس الأموال. (ارجع المصدر السباق، 21).

ويؤيده الفيتوري فيما ذهب إليه، ولكنه يضيف قائلا: " إن بصمات عهد العبودية تركت أثارها على الأرواح أيضاً، وليس فقط على الأجساد " (المصدر نفسه، 21).

وينفي محمود العالم أن بشرته السوداء ودمامته لم تكونا عقبة في الوصول للخلاص، بل كانت العقبة تكمن في باطنه، أي: مشاعره الحاقدة السوداء. مستدلا بقول الفيتوري:

عندما تُورقّ الكآبةُ في صحراءِ نفسي الحزينة المسكينة
أتمنى لو كنتُ دودةَ حقلٍ
تتلوَّى في شُقُوقِهِ مُستكينة
أتمنى لو لم أكُنْ عبداً حَقِيْر
وجنونٌ وغيرةٌ وضغينة. (المصدر، 35).

توظيف الفيتوري للون الأسود:

عانى الفيتورى الشعور بالغربة والضياع، كما عانى من أزمة نفسية تصل إلى حد الإحساس بالنقص تجاه البيض الذين يتصورهم يحتقرون آدمية السود،بسبب قبحهم ودمامة سحنتهم فهو يرى أن المعركة معركة لونية بين الأبيض والأسود ؛ لذا حمل على عاتقه تسجيل جرائم البيض ضد السود, وكرس شعره لإثارة السود على عدوهم الذي احتل أرضهم،فعمل على حضهم على الانتفاض, وعلى إزكاء روح الكفاح فيهم، متخذاً من اللون الأسود سلاحاً لمعركته هذه،فوظف اللون الأسود توظيفاً يخدم قضيته، حيث أنه عمد إلى توظيف اللون الأسود فوصف به الأشياء المادية، والأشياء المعنوية، كما لجأ إلى أسلوب المقابلة بين اللونين الأسود والأبيض، وهو في كل ذلك إما أن يذكر اللون الأسود صراحة،أو يذكر أشياء لها دلالة اللون الأسود.

1- توظيفه اللون الأسود صراحة:

أ- في الأشياء المادية:

وصف الفيتورى الإنسان الإفريقي مبيناً مدى الذي أصابه من قبل المستعمر الأبيض بسبب سواد بشرته, قال:

وليلٌ كثيرُ المَزَايا
ورقصةُ سودٍ عَرَايا (الفيتوري، ج1، 43)

لذلك نجد الفيتوري يصور لنا الإنسان الإفريقي ضعيفاً منزوياً في كهوفه،خائفاً فيقول في قصيدة البعث الإفريقي حاثاً له أن يترك ضعفه ويتحدى الورى:

آنَ لهذَا الأسودِ... المُتْوِي
المُتْوارِي عن عُيُونِ السَّنَا
آنَ لهُ أنْ يتحدَّى الوَرَى
(الفيتوري، ج1، 49)

ويصور الشاعر لنا الإنسان الإفريقي وهو يحيط به ذل اللون الأسود, فهو ذو جهة سوداء قد شقّاها فأس الزمن فقال:

قال له شيخٌ مُقَعَّد
شققَتْ جبهتَهُ السوداءَ فأسُ الزَّمَنْ
(الفيتوري، ج1، 50)

وقابل الشاعر بين جبهة العبد ونعل السيد،ليوضح لنا مدى الاحتقار والذل والاضطهاد الذي يعانيه الإنسان الأسود فقال:

جبهةُ العبدِ ونعلُ السّيدِ
وأنينُ الأسودِ المضطهدِ
تلك مأساةُ قرونٍ عبرتْ
لم أعدْ أقبلها لم أعدِ (الفيتوري، ج1، 57)

فالشاعر يبرز الإنسان الإفريقي إنساناً أسودَ يحيط به السواد،فرداؤه أسود،يقول:

وجَرَرْنا المعاطفَ الشَّتْوِيةِ السوداءِ
(الفيتوري، ج1، 175)

وكذلك، الأعمدة سوداء، فيقول:

جلستُ تحتَ هذهِ الأَعمدةِ السوداءِ
(الفيتوري، ج1، 171)

وعند الشاعر الحوائط سوداء، فيقول:

رأيتُهُم يتَهاوَون
في جمودِ المساءِ
والريحُ حولهمُ كالحَائطِ السوداءِ
(الفيتوري، ج1، 95)

وكذلك السحب عنده سوداء، فيقول:

الدربُ كثبانٌ تنزلقُ خلالَ الــغابةِ
كسَحابٍ أسودَ يتراكضُ خلفهُ الظلُّ
(الفيتوري،ج1، 276)

ب- في الأشياء المعنوية:

إن الإنسان الإفريقي, كل ما يحيط به من أشياء مادية كلها ذات لون أسود لذا تلونت أشياؤها المعنوية كلها بالون الأسود.

ففرحه أسود،فيقول عنه:

يغنونَ في فرحٍ أَسْودٍ
(الفيتوري، ج1، 43)

وكذلك حلمه أسود،فيقول:

إفريقيا
إفريقيا استيقظي
استيقظي من حُلُمِكِ الأسودِ
(الفيتوري، ج1، 46)

والشاعركذلك همومه سوداء فيقول:

في صمتِ ضجرٍ
وهمومكِ السوداءِ
حولكِ مطرقاتٍ تنتظرُ

كعجائزٍ متجمعات
حولَ ميتٍ يُحتضَرُ
(الفيتوري، ج1،46)

وللظى الذي يعاني منه أيضاً وصفه بالأسود في قوله:

أطفئِ بإعصاركِ اللَّظَى الأَسْودِ
في قلبي وأحداقي
(الفيتوري، ج1، 142)

وحتى تاريخ إفريقيا لونه أسود قال:

يا دِيْوَانَ التاريخِ الأسودِ
(الفيتوري، ج1،142)

كما صبغ أميرته وورده باللّون الأسود فقال:

لو فجأةً تفَّقَ الياقُوتُ
ياأميرتِي السوداَء
(الفيتوري، ج1، 164)

وقال:

أزهرتِ البنفسجياتُ السودُ في يَدِي
(الفيتوري، ج1، 165)

ثم صور ذلك الأسود بطلاً يبحث عن حريته فقال:

البطلُ الأسودُ ذو القدمينِ العاريتينِ
(الفيتوري، ج1، 205).

وبطله هذا أنضجته الصحراء،وتفوح من إبطيه رائحة الأنبياء:

أَسْودٌ قد أنضَجَتْهُ
مواقدُ الصحراءِ
تفوحُ مِنْ إِبْطَيْهِ
رائحةُ الأنبياءِ
وفِى خطاهُ جلالُ النبوغِ والكبرياءِ
(الفيتوري، أغانى من إفريقيا، 95)

والأسودُ عنده يؤمن بحريه الكادحين السود مثله،فيقول الفيتوري:

وآخرُ أَسْودُ بادِي العُبُوسِ
طويلٌ، رفيعٌ كصَارِي سفينةْ
ينُام بمقبرةٍ حفرتهَا محاريثُهُ
خلفَ سُورِ الزمنِ
وقدْ كانَ يؤمنُ في عُمْقِهِ
بحريةِ السودِ الكادحينَ

(الفيتوري، أغانى من إفريقيا، 70)

ويحرض الشاعر الإنسان الافريقى الأسود ليهب ويتحدى الورى،فيقول:

أنا أسودٌ

لكّني حرٌ أمتلكُ الحرّيَة

(الفيتوري، أغانى من إفريقيا، 59)

مما سبق نجد أن الشاعر قد وظف اللون الأسود،عندما استخدمه في وصف الأشياء المادية، والأشياء المعنوية ليبرز لنا صورة الإنسان الإفريقي ومدى معاناته من اللون الأسود, فلون بشرته أسود, وأحزانه سوداء, وكذلك حبه وورده والتاريخ وكل شئ حوله اسود فاللون الأسود يرى فيه الشاعر مأساة الإنسان الإفريقي،إذ بسببه يحتقره الإنسان الأبيض, ويشعره بدونيته,فهو عنده أقل من مرتبة الحيوان, وقد ارتبطت لفظه أسود,أو لفظه زنجي بمعنى العبد,وصارت في أذهان كثيرة من الناس بهذا المعنى,حتى أطفال أوربا أشربوا هذا المفهوم.كما قال النور عثمان أبكر.(انظر البحث، ص10 ـ 11).

وصلاح أحمد إبراهيم كتب عن اللون الأسود قائلا:

هلْ يوماً ذقتَ هوانَ اللّونِ

رأيتَ النّاسَ يشيرونَ إليكَ، ينادونَ:

عبدٌ أَسْودْ

عبدٌ أَسْودْ

هل يوماً رحْتَ تُراقِبُ لعبَ الصِّبيةِ في لهفةٍ وحنانْ

فإذَا أوشكتَ تصيحُ بقلبٍ ممتلئٍ رأفةْ

مَا أبدعَ عفرتَةَ الصِّبيَانْ!

رأُوكَ فهبُّوا خلفكَ بالرَّفَةِ

عبدُ أَسْودْ (إبراهيم، ت: بدون، 49)

كما يُعرَّفُ العبدُ أحياناً:"بالشيء الذي يمكن شراؤه وبيعة مثل أي متاع منقول ". فكان على الأنسان الأفريقي أن يؤكد بشريته إما عن طريق التعصب لكل ماهو إفريقي، أو تقديس اللون الأسود، اوكراهية الأوربيين, أو المواجهة، أو الدعوة للوحدة الإفريقية. ولعل شاعرنا أختار تقديس اللون الأسود سلاحاً لقضيته وهي قضية إفريقيا وإنسانها المضطهد.

والشاعر الفيتوري في توظيفه للون الأسود لجأ لكل ما له من دلالة باللّون الأسود ووظفه في شعره. فاستخدم الألفاظ مثل: (عبد,زنجي, زنجية، الظلام،الظلمة, الدجى,استوائية, الأبنوس).

فاستعمل كلمة عبد (جمعا) في قوله:

"بلادُ العبيد عرايا الأسى"

(الفيتوري، أغاني إفريقيا،51)

كما وظف الشاعر لفظة زنجي، معادل أسود توظيفاً جيداً ،فأوضح أن الزنوج في إفريقيا يعانون الذل والفقر والعرى: قال:

يا بلادَ الزنُوجِ الحُفاةِ والعُراة

ترى كيف يمشُونَ في عُريهِمْ

وكيف يعيشونَ خلفَ الحياة.

(الفيتوري، أغاني إفريقيا،67)

ثم تعرض الفيتوري لسْبي فتيات إفريقيا واجبارهن على البغاء،فيقول: على لسان أبيض

لَكْم أشتهِي جسداً دافئًا
مهيباً لزنجية جامحة
فقد قِيلَ إنَّ لُحُومَ الجَّوارِي
لها نكهةٌ ولها رائحَةْ
يابلادَ الكنوزِ إفريقيْه
(الفيتوري، أغاني إفريقيا، 68)

فكل شئ في إفريقية عند الفيتوري زنجي، حتى شمسها فقال:

من أجلك يا إفريقية
يا ذاتَ الشّمسِ الزنجيةْ
(الفيتوري، عاشق من إفريقيا، 265)

ثم يفخر الشاعر لانتمائه لإفريقيا ولشعبها،فيقول:

فإفريقيا موطني، والزنوجُ المساكينُ شعبِي
الزنوجُ الذينَ أقامُوا هياكلَهُمْ أُسُ جسرَا
تمرُّ عليهِ إليكِ الحضارْة
(الفيتوري، عاشق من إفريقيا، 322)

ويصدح الشاعر بزنوجيته وافريقيته:

أنا زنجِّي
وإفريقيةٌ لِي، لا للأَجنبِي المعْتدِي
(الفيتوري، عاشق من إفريقيا، 57)

ويذهب الشاعر أكثر من ذلك فيحرض كل زنجي أن يعتز بأصله الزنجي:

قلها لا تجبنْ لا تجبنْ
قلها في وجهِ البشريةِ
أنا زنجِّي
وأبي زنجُي الجّدِ
وأمي زنجيةْ
(الفيتوري، عاشق من إفريقيا، 59)

فالشاعر وظف كلمة زنجي فصور بها معاناة السود، ثم افتخر بانتمائه للزنوج وموطنهم إفريقيا ونادى الزنوج وحثّهم على الافتخار بزنوجيتهم. كما استخدم لفظه الأبنوس للدلالة على الإنسان الإفريقي الأسود، فقال:

وأجسامهمْ
وذلك الأبنوسِ العجيبِ
المفصلِ مثلَ البشرِ
(الفيتوري، أغاني إفريقيا،67)

واستخدم الظلمة حين قال:

الساعةُ منتصفُ الليلِ

وعلى الدربِ تنامُ الظلمةُ

(الفيتوري، عاشق من إفريقيا، 313)

وقابل الفيتوري اللون الأسود باللون الأبيض؛ لإيضاح وتكثيف الصورة, والتركيز عليها بفعل المفارقة فقال:

وكأنَّ الأبيضَ نصفُ إلْه

وكأنَّ الأسودَ نصفُ بشْر

(الفيتوري، عاشق من إفريقيا، 266)

هنا قابل الشاعر بين اللونين الأسود والأبيض؛ فأوضح مكانة الأسود الدونية، فالأسود ليس بشراً كاملاً، كما يراه الأبيض، ويرى الأبيض نفسه فوق البشر ودون الإله, فهو نصف إله. فتوظيف الشاعر للون الأسود بمقابلته باللون الأبيض ؛ ليفضح الأبيض الذي يدعي الحضارة عندما يحتقر الإنسان للونه. كما قابل الأسود باللون الأحمر الذي له دلالة البياض،فقال:

وقال طفلٌ أسودُ

ياأبي ،إنِّي أخافُ الرجلَ الأحمرَ.

(الفيتوري، أغاني إفريقيا، 50)

فاللون الأسود دلالته: الخوف والعجز,واللون الأحمر دلالته: بعث الرعب والخوف في الأسود، إذاً مما سبق نجد أن الشاعرقد أفلح في توظيف اللون الاسود، كما استخدام أسلوب المقابلة، فأوضح مكانة الإنسان الأسود وكيف ينظر إليه الأبيض المعتد بنفسه، فسلبه حريته وأدخل في نفسه الخوف والقهر والذل. فأبرز الإنسان الأبيض في صورة المتكبر والظالم، والإنسان الأسود في صورة المظلوم الذي يجب مناصرته وذلك بحثه على الثورة، وكذلك لكي يفضح الأبيض المستعمر ويفضح ظلمه.

رأى النقاد في نظرة الفيتوري للألوان البشرية:

اتخذ الفيتوري من اللون الأسود سلاحاً في ثورته ضد الجهل والظلم، فصبغ شعره باللون السود، وانغمس في عذابات إفريقية وإنسانها الأسود، فأشهر سلاح اللون الأسود وبلغ مدى في تمجيد الأسود، وكان هذا الموقف محل هجوم من بعض النقاد.

فمحمد أمين العالم؛ قال للفيتوري: " إ نها مأساتك الخاصة تسقطها علي قارة بأكملها... إنك شاعر مريض" (التوم،2002م، 262).

واتهمه بتمزيق القضية، والكتلة الجماهيرية لما يدعي بأن هنا قضية منفصلة للسود. (المصدر نفسه، 262).

وبالمثل كان الفيتوري محل هجوم محمد عبد الحي الذي اتهمه بأنه لم يخلق لموقفة الزنجي هذا لغته الجديدة، فالسواد، والظلمة عنده رمز لليأس، والطغاة، وهو يضع الأسود موضع المهانة، وهذا يتكرر في ديوانه وقطعا ليست هذه لغة إفريقية، فمن الذي جعل الخير أبيضا، والشر أسوداً, وحتماً لم يفعل ذلك الأفارقة.(يراجع المصدر نفسه، 263).

أما الناقد النويهي فيعزي موقف الفيتوري هذا إلي دوافع عامة هي: حزنه علي مأساة السود, وسخطه علي من احتلوا بلادهم. ويعزيه إلي دوافع خاصة: فهو ذو بشرة سوداء ؛ و أنه دميم ويحز ذلك في نفسه،. لكل هذه الدوافع كرس شعره لإثارة السود علي عدوهم:

يراجع الاتجاة الافريقي فى الشعر السوداني المعاصر، (التوم، ط2002م، 263)

قال الفيتوري:

جبهةُ العبد ونعلُ السيد وأنينُ الأسودِ المضطهَد

تلكَ مأساةُ قرونٍ عبرتْ لم أُعدْ أقبلها لم أُعِد

(انظر البحث ص 20)

ولهذه الدوافع اتهمه بأن مزاجه صفراوي، يصر على هلاك كل شيء، وله غرام بالموت، لذا فهو يرفض الفرح حين يقول:

فى قلبِي سيفٌ يقطُر بالدَّمِي
يتصبَّبُ حقداً وضغينهْ

(الفيتوري، ديوان الفيتوري، 78)

ويرى النويهي أن الفيتوري ربط بين السواد والذلة والحقارة، ويرجع هذا إلي الاستعمار الذي أفلح في إقناع السود بأن السواد معيب في حد ذاته. ولكن أرى أن الفيتوري وظف اللون الأسود واستخدمه سلاحاً أشهره في وجه الطغاة ليحقق به أهدافه, وقد أفلح في ذلك حيث أبرز ظلم المستعمر، وفضحه أمام الضمير العالمي, وشحذ همم الأفارقة السود ليثوروا علي المستعمر، فهو لم يكن يكره الأبيض نتيجة للونه، ولكن لأفعاله، انظر قوله في قصيدة:(إلى الوجه الأبيض)، التي فيها دعوة للأخوة مع البيض:

فاخلْع براقع َ كبريائ كَ
واضْمُم يَديكَ إلى يَدَيْ
نُشَيِّد معاً صَرْحَ المحبة...
إني أخوكَ فلا تَعِقْ أُخُوتِي
فتزيدَ براكيني وقْا

(الفيتوري، أغاني إفريقيا، 64).

بهذه الدعوة ينتفي عن الفيتوري كل ما أُتّهِم به من تعصب للون الأسود حد الكراهية، بل استخدمه وقت أن كان سلاحاً يزود به عن إفريقيا وإنسانها، ويحرك به ثورة الضعفاء بعد أن ينبههم إلي عدوهم الذي يمعن في احتقارهم بسبب لونهم الأسود. والفيتوري لا مانع عنده أن يمد يده لبناء صرح المحبة لذلك الأبيض لو أنه خلع براقع كبريائه.

الخاتمة:

من خلال دراسة توظيف الفيتوري للون الأسود ؟تبين مدى تسخير المستعمر للون الأسود وذلك للحط من قدر السود في أفريقية، حتي يتسني لهم إخضاعهم، فعانى الفيتوري أزمة نفسية تصل إلى حد الإحساس بالتعصب تجاه البيض الذين يتصورهم يحتقرون آدمية السود، لذا وظف اللون الأسود كسلاح أثار به الثورة في نفوس الأفارقة ضد البيض.

خلصت الدراسة الي نتائج: أهمها:

1- الفيتوري قد نجح في استخدام اللون الأسود كسلاح زاد به عن أفريقية وانسانها. وحرك الضعفاء بعد ان نبههم إلى عدوهم الذي يحتقرهم بسبب اللون الأسود.
2- إنتفاء تعصب الفيتوري للون الأسود حد الكراهية.
3- لامانع عند الفيتوري من أن يمد يده لبناء صرح المحبة مع البيض.
4- كرس الفيتوري معظم شعره في الدفاع عن إنسان أفريقيا.
5- رمزة المرأة في شعره لإفريقيا.

المراجع والمصادر:

1- القرآن الكريم.
2- إبراهيم، صلاح أحمد،2013م، غابة الأبنوس، أبنوس للنشر – الخرطوم.

3- إبراهيم، صلاح أحمد،2013م، غضبت الهباباي، أبنوس للنشر – الخرطوم.

4- أبكر، النور عثمان، صحو الكلمات، دار عازة للطباعة والنشر، ط2002،3م).

5- بنيس، محمد،1985م)، ظاهرة الشعر المعاصر مقارنة بنيوية تكوينية، دار التنوير للطباعة والنشر، ط2.

6- البياتي، عبد الوهاب،2001م، الأعمال الشعرية الكاملة، دار الحرية للطباعة والنشر، بيروت، المجلد الأول ط2.

7- التوم، حسن صالح،2002م ،الاتجاة الإفريقي في الشعر السوداني المعاصر. سولو لطباعة والنشر، ط1.

8- الشابي، أبوالقاسم،1970م، ديوان أغاني الحياة، الدار التونسية للنشر.

9- الصقر، اياد محمد،2010م، فلسفة الألوان، الأهلية للنشر والتوزيع، ط (بدون).

10-عبدالحي، محمد، حديقة الورد الأخيرة، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، ط1999،1م.

11-العربي، رمزي،التصميم القرافيكي، دار اليوسف للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،2005م.

12-الفتيوري، محمد مفتاح،ديوان محمد الفيتوري، المجلد الأول، منشورات الفيتوري، بيروت، ط 1981،4م.

13-القاسم، سميح، ديوان الموج الكبير، المجلد الثاني،دار الجيل،ط (بدون).

14-امرؤ القيس،ديوان امرؤ القيس،تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم،ط4 دار المعارف،مصدر 1984م.

15-محمدعلي،محمد،1986م،ديوان ظلال شاردة،دار الكتب المصرية،ط2.

16-ابن منذور، محمد بن مكرم، لسان العرب المحيط، دار صادر – بيروت، ط1414،3هـ)، ج12)

17-الميمني،عبدالعزيز،1950م، ديوان سُحيم عبد بني الحساس/ تحقيق عبدالعزيز الميمني،دار الكتب المصرية،ط (بدون).